مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية
تصدرها جامعة صبراتة بشكل الكتروني

البِنيوية ودورها في ترسيخ العلاقة بين اللغة والمُقدّس

The Structuralism and its Role in Establishing the Relationship between Language and the Sacred

د.عبدالله علي عمران
محاضر، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

رقم الايداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139
الترقيم الدولي:
ISSN (Print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707- 6555
الموقع الألكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

مـجـــلـــــة
جامعة صبراتة العلمية

البِنيوية ودورها في ترسيخ العلاقة بين اللغة والمُقدّس

The Structuralism and its Role in Establishing the Relationship between Language and the Sacred

عبدالله علي عمران
محاضر، كلية الآداب، جامعة عمر المختار
abdullah.ali@omu.edu.ly

ملخص البحث:

اللغة ظاهرة إنسانية فريدة، شغلتْ كل أشكال المعرفة، الفلسفة، والدين، والعلم، وارتبطتْ بكل الظواهر الإنسانية الأخرى، مثل التفكير والحضارة والأساطير؛ ولكن ما يعنينا هنا هو العلاقة بين اللغة والمقدّس (النصوص والطقوس الدينية) وعلاقة اللغة بالفلسفة، فالعلاقة بين اللغة والمقدس قديمة جدا، بقدم الرسالات والأديان، بخلاف علاقة اللغة بالفلسفة، التي تعد حديثة نسبيا، كما أن رؤية الدين مقدسة أما الفلسفة فنقدية، ولعل من الغريب أن تتفق رؤية الدين مع رؤية إحدى المدارس الفلسفية وهي البنيوية، والذي كان له الأثر الكبير على قبولها في الأوساط العربية، لكون البنيوية قدمتْ رؤية تتفق مع الرؤية العربية القائمة على قدسية اللغة، وتتمة لذلك لابد من الوقوف على آثار الارتباط بين اللغة والمقدس، على كل منهما.

الكلمات الدالة: البنيوية، المقدس، اللغة

Abstract:

Language is a unique human phenomenon, occupying all forms of knowledge, philosophy, religion, and science, and it is linked to all other human phenomena, such as thinking, civilization and myths. This study is concerned with the relationship between language and sacred things (texts and religious rituals) and the relationship of language with philosophy. The relationship between language and the sacred is very old, with the age of messages and religions, which is in contrast to the relationship between language and philosophy, which is relatively recent. Moroever, the vision of religion is sacred, but philosophy is critical. Perhaps it is strange that the vision of religion coincides with the vision of one of the philosophical schools, which is the filial, which had a great impact on its acceptance in Arab societies because structuralism presented a vision consistent with the Arab vision based on the sanctity of the language and its completion. Therefore, it is necessary to examine the effects of the link between language and the sacred on each of them.

Keywords: Structuralism, language, sacred

مقدمة:

الظاهرة اللغوية، ظاهرة فريدة، ليس لكونها تُميز الإنسان عن سائر المخلوقات، كما دأب الفلاسفة والمفكرون والعلماء على توصيفها، بل لكونها تتداخل مع كافة الأنشطة البشرية، وتتحكم في رؤية الإنسان لعالمه، بل قد تكون هي الوسيلة التي تُشكل ذلك العالم، وأول ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، هي أن الوظيفة التواصلية للغة، هي التي تجعل التجمع الإنساني ممكنا، حتى لو سلمنا بأن اللغة هي نتيجة لذلك التجمع، وعن طريق اللغة يصف الإنسان عالمه، ويعيد وصفه لأقرانه، بل عن طريقها يتلقى الرسائل السماوية، ويرسل رسائله، وعن طريقها تتواصل الشعوب والحضارات.

وهنا تظهر لنا الإشكالية الخاصة بالدراسة فهذه الوظائف المتعددة، هي في الحقيقة تربك اللغة، وتتأثر بها، اللهم إلا إذا تصورنا أن اللغة وَسَطٌ شفاف لا يؤثر ولا يتأثر، وعلى الرغم من أهمية أشكال التواصل؛ إلا أن التواصل المقدس المتمثل في الطقوس والعبادات، كان الأكثر أهمية، ومدعاة للجدل والاختلاف، من حيث تأثره باللغة، وتأثيره عليها.

فقد اهتمّت الفلسفة باللغة شأنها شأن بقية العلوم، بل وتشكلت مدارس فلسفية انطلاقا من اللغة، ولعل البنيوية هي أبرز الأمثلة على تلك المدارس الفلسفية، على الرغم من إنكار أنصارها انتمائهم للفلسفة، فلقد استنبطت البنيوية منهجا من خلال النسق اللغوي، الذي اعتبرته نسقا مغلقا، ورفعت ذلك النسق إلى مستوى القداسة. وهذا التصور الفلسفي يثير العديد من التساؤلات (تساؤلات الدراسة) من حيث اتفاقه في النتائج مع التصور الديني، فهل كانت له المنطلقات نفسها؟ وهل هذا الاتفاق هو ما جعل البنيوية أكثر قبولا في الأوساط العربية؟ والأهم من كل هذا، هل لعلاقة اللغة بالمقدس سواء من منظور ديني أو فلسفي أثر على طبيعة اللغة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، يتطلب الأمر عرضا لأهم السمات لعلاقة اللغة بالمقدس، وكيفية تبني البنيوية لهذه العلاقة، من خلال تحليل بعض آراء روادها، للوصول في نهاية الأمر إلى تصور حول طبيعة العلاقة بين اللغة والمقدس، ومعرفة انعكاسات ذلك على اللغة العربية بشكل أساسي، وهو الدافع الأول لاختيار هذا الموضوع.

أولا ـ اللغة والإنسان (أهمية الظاهرة اللغوية):

تعد اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية فريدة، محل إشكال وتساؤل بين الكثير من الفروع المعرفية، فاللغة هي أهم خاصية يمكن من خلالها دراسة الطبيعة الإنسانية بصفة عامة، كما يؤكد ذلك (نعوم تشومسكي)؛ لكونها من أهم الخصائص المقصورة على النوع الإنساني، وهي جزء من إعدادنا الإحيائي المشترك shared biological endowment الذي لا يختلف فيه النوع الإنساني إلا قليلا، كما تدخل اللغة بطريقة جوهرية في الفكر والفعل والعلاقات الاجتماعية فكافة أشكال التطور، قد يشترك فيها الإنسان مع مخلوقات أخرى تملك ذات الصفة، خاصة تلك التي تندرج تحت مسمى التطورات البيولوجية العضوية، أما التطور

اللغوي، فهو خاصية يتفرد بها الإنسان، يدل على ذلك التباين الكبير بين اللغات البشرية المختلفة، بل ولغة العرق الواحد والشعب الواحد، ليس فقط على مستوى أزمنة متعددة، بل حتى في الزمن الواحد والجيل الواحد، والتطور اللغوي الملحوظ، خاصة بعد التدفق الهائل لوسائل التواصل وتقنية المعلومات.

لهذا عبّر بعض المفكرين عن أهمية اللغة، باعتبارها السبب الأساسي لكل أنواع التقدم الإنساني، كما أنها وثيقة الصلة بالتجربة الإنسانية برمتها، بحيث لا يمكن تخيل وجود مجموعة من البشر، حتى ولو اقتصرت على شخصين فقط، من دون أن تكون هناك لغة للتواصل بينهما، بل قد يصل الأمر إلى أن يخترع الإنسان اللغة، للتواصل مع حيواناته الأليفة، ولو افترضنا أن الإنسان لا يملك لغة، فهو في الحقيقية سيصبح مخلوقا عاديا جدا، إلى الحد الذي لا يمكن التمييز بينه وبين الديدان والطحالب، لكون اللغة هي التي يسرت للإنسان الاستفادة من تجارب الآخرين، وحققت له خاصية التراكمية المعرفية[1]، وهي الميزة التي جعلت الإنسان يتحول إلى مخلوق متفوق على غيره من المخلوقات الأخرى.

ولذلك حظيت اللغة باهتمام بالغ من كافة الفروع المعرفية، مثل الدين والفلسفة والعلم، وكلٌّ نظر إليها من زاويته الخاصة؛ ولكن الجدير بالذكر أن الدراسات اللغوية ليست بمنأى عن الصعوبات البحثية؛ فالإشكالية التي تواجه أي دراسة لغوية، تكمن أساسا في أن القدرة البشرية على تكلم اللغة، تعد النموذج الأمثل، للقدرات التي لا يمكن تفسيرها بمعزل عن غيرها، وبعيدا عن نموذج تام للتنظيم الوظيفي البشري، الذي بدوره يمكن أن يكون غير مفهوم هو الآخر، ليس بسبب التعقيد؛ بل بسبب عدم القدرة على الفهم؛ لأن القدرات البشرية لا يمكن فهمها كأي موضوع آخر من المواضيع التي تدرسها العلوم الطبيعية[2] أي إن الإشكاليات التي تواجه الدراسات اللغوية، تتمثل في عدم إمكانية دراسة اللغة بمعزل عن عوامل نشأتها وتطورها، فهي قدرة بشرية مرتبطة بالقدرات الأخرى، كما أن هكذا دراسات لا تخضع لضبط علمي صارم، مما يعني أن سبل حسمها تبدو بعيدة المنال، على الرغم من حرص الكثير من المدارس الفلسفية على تطبيق مناهج علمية على الظاهرة اللغوية.

ثانيا ـ اللغة والمقدّس

هناك العديد من العوامل التي ترتبط باللغة، وتساهم في نشأتها وانتشارها، كالعوامل الدينية والاجتماعية والسياسية، فاللغة الإغريقية تمثل نموذجا للتطابق بين مراحل الانقسام والتوحد السياسي بمراحل الانقسام والتوحد اللغوي[3]، والأمر ذاته يمكن إسقاطه على اللغة العربية، فلقد فرض توحيد العرب سياسيا، تحت سلطة دولة واحدة، أن يتم توحيدهم لغويا أيضا، وذلك انطلاقا من وحدتهم الدينية، وهذا الأمر أدى إلى امتزاج الديني باللغوي، تحت ضغط العامل السياسي.

كما أسهم التوسع السياسي، وانتشار الإسلام في أرض حضارات أخرى تعول على العقل، في جعل المسلمين يحاولون مجاراة فكر تلك الأمم والأخذ بالبرهان العقلي، وتجسد ذلك لغويا في (النحو)[4] فالتواصل بين الحضارات، يترك أثرا كبيرا بلا أدنى شك، ولكن يمكن ملاحظته بشكل أساسي على اللغة

والدين، فلقد لعبت الحروب والهجرات دورا كبيرا في تطور واندثار اللغات، خاصة تلك التي تكون من منطلقات أو أسباب دينية، كما كان لها الأثر البارز في انتشار واندثار الأديان أو التعاليم الدينية، وعلى الرغم من أهمية العوامل الأخرى المؤثرة في اللغة، إلا أن علاقتها بالمقدس تظل ذات سمة خاصة، إلى الحد الذي دفع (نيتشة) إلى القول: أخشى أن لا نستطيع التخلص من الآلهة لأننا مازلنا نؤمن بالنحو[5].

من جهة أخرى انطلقت المحاولات الأولى لدراسة اللغة لأسباب دينية، أو مدفوعة بمتطلبات عقائدية، ففي الهند القديمة، ارتبط الاهتمام باللغة باستجلاء معاني النصوص المقدسة[6]، والعلاقة بين كل جوانب اللغة والمقدس سواء كان نصوصا دينية أو أساطير أو عادات اجتماعية، تعد علاقة وثيقة، فللمقدس علاقة بالتركيب النحوي، كما يرتبط بالمعنى اللغوي.

1- الخصائص المشتركة بين اللغة والمقدس

العلاقة بين اللغة والمقدس، لا تستند إلى مؤثرات خارجية فقط، بل إلى مجموعة من السمات المشتركة، التي يتفق فيها المقدس مع اللغة، فاللغة والدِّين منظومتان محكومتان بالإطار العام للجماعة، إذ تعد المعيار العام الذي يحتكم إليه، ففكرة الجماعة فكرة جوهرية دينيا، سواء باتباع الجماعة وإعطاء القيمة العليا للعمل الجماعي في أداء كافة الطقوس الدينية، واللغة أيضا منظومة جماعية بسبب الوظيفة التواصلية التي لا تتحقق إلا في جماعات، وبذلك تمثل اللغة نوعا من المؤسسة الاجتماعية، فاللغة كنظام من الأدلة الاعتباطية[7]، لا تكون إلا باستعمال واتفاق جماعة ما، ولذلك فإن اللغة باعتبارها مؤسسة اجتماعية، يكون تطورها مشروطا بالمجموعة التي تتكلمها[8]؛ ولذلك شكّل كل من اللغة والدين ثنائيا مهما، للتحكم في رؤية الإنسان للعالم، إضافة إلى تحكمهما في تشكل الجماعات البشرية، إذ تتشكل وفقا لوحدة اللغة أو وحدة الدين، وبناء عليه، يعتبران دائما، أفضل الظواهر التي يمكن من خلالها إجراء دراسة معمقة لأي حضارة أو ثقافة بشرية[9] فاللغة والدين منظومتان تتصفان بثبات وديمومة أكثر من أي ظواهر أخرى، كما أنهما يفرضان عن الإنسان من خارجه، والاندماج فيهما يتم عبر مراحل، أغلبها لا يكون الإنسان قادرا على الاختيار، وهما من تعرف على العالم من خلالهما.

كما يمكن للتقسيمات الدينية أن تظهر على المستوى اللغوي، فقد أصبحت اللهجة اليهودية – الألمانية، وهي لهجة ألمانية كانت خاصة بيهود ألمانيا، لسانا مشتركا لطوائف اليهود المنتشرة من البلطيق إلى البحر الأسود[10] واللغة والدين عادة ما يشكلان معا حجابا (يستر أو يبرر) الكثير من الخطايا، وليس المقصود هنا اللغة كتاريخ (تاريخ اللغة) أو اللغة كظاهرة عامة تحكمها مجموعة من القواعد syntax؛ بل اللغة كناقل لرسالة ما، أو محفز لتنفيذ فعل ما، خلال المجالات المختلفة التي تستخدم فيها[11] أي أن الدين قد يفرض لغة ما أو يساهم في انتشارها، كما قد يسهم الدين في إعادة تأويل لغة ما وإضافة بعد مجازي جديد، من خلال التحكم في الرسالة التي يحملها النص الديني، مما يترتب عليه سلوكيات وقيم أخلاقية.

وفي بعض الأحيان، يشـــكل الدين واللغة هوية إثنية أو قومية جديدةEthnoational Identity[12] والمعتنقون لدين ما، حين يستخدمون لغة مختلفة عن اللغة التي تستخدمها المجتمعات التي ينتمون إليها، عادة ما يتأثرون ســـلبا نتيجة هذا الخلاف[13]، وكأنهم بذلك ينتمون إلى عالمين مختلفين، عالم اللغة المرتبطة بالدين وعالم اللغة المرتبطة بالمجتمع، ويزداد الأمر تعقيدا عندما يمتلك معتنقو الدين، لغة قومية مختلفة عن لغة الدين الذي يعتنقونه ولغة المجتمع الذي يعيشـون فيه، فهم بذلك يعيشـون في ثلاثة عوالم مختلفة.

2- اللغة العربية والمقدس

تعد اللغة العربية مثالا بارزا للعلاقة الوثيقة بين اللغة والمقدس، ذلك لأن السبب الأساسي لوضع علم النحو هو الدين، إذ كان يهدف لضـــبط اللغة لكونها لغة النص المقدس (وإلا لماذا لم يحدث ذلك قبل ظهور الإسـلام؟) فالحرص على اللغة من الضـياع لا يعني شـيئا في ذاته، إلا أنه اكتسـب معناه عندما أصـــبحت تلك اللغة لغة مقدســـة، لابد من تعلمها لأداء العبادات، ولابد منها لفهم معاني ودلالات النص المقدس، بمعنى آخر إن وضـــع قواعد اللغة كان القصـــد منه _ولا قصـــد آخر غيره_ حفظ معاني النص المقدس، ولعل أشهر الروايات في ذلك ما نسب لعمر حينا وليزيد حينا آخر مع أبي الأسود الدؤولي.

وقد اقترنت اللغة العربية بأداء الشـعائر الدينية، بدءا من نطق الشـهادتين وصـولا إلى قراءة القرآن، فكان الخلاف فيمن أقر بالشـــهادتين بالعجمية وهو يحســـن العربية، فهل يكون بذلك مســـلما؟ [14] كما اعتبر بعضـــهم أن نقل معاني القرآن إلى لغة أخرى يتبعه بالضـــرورة خلل في الدلالات[15] إلى حد الفتوى بالصـــمت بدلا من القراءة بلغة أخرى[16]، ويرى الحنفية أن هناك كراهة تصـــل إلى التحريم، لمن ينطق بتكبيرة الإحرام بغير اللغة العربية، وهو قادر على النطق بها، وهو مقارب لرأي المالكية إلا أنهم أســـقطوا عن الأعجمي التكبير، ويدخل الصلاة بالنية[17]، فالخلاف هنا على إسلام من نطق الشهادة بغير العربية، والإفتاء بالصـــمت بدلا من قراءة القرآن بلغة غير العربية أو التكبير بغيرها، وهذه الخلافات والنقاشات، هي دلالة واضحة على الارتباط الوثيق بين اللغة والمقدس.

3- مستويات قدسية اللغة

العلاقة بين اللغة والمقدّس، أو تقديس اللغة، لم يكن يأتي في ســياق أو مســـتوى واحد، بل كانت له سياقات عدة، لابد من تمييزها؛ لكي يتسنى الربط بين هذه المستويات وبين بعض الأفكار الفلسفية، فوفقا للرؤية الدينية، كإجابة للســؤال عن أصـــل اللغة، هناك من يرى أن اللغة مقدســـة لأنها لغة الله God's language التي خاطب بها الأنبياء، وأنزل بها النصـوص، أو هي محاكاة للغة الله، وتصـبح تبعا لذلك، لغة لأهل الجنة (الفردوس) paradisiacal human language[18]، أوهي اللغة الأصلية للبشرية، كما

فعل أوغستين إذ أعتبر أن العبرية هي لغة البشر الأصلية [19] وهذه الرؤية تقدس اللغة لكونها لغة الله أو شبيهة بلغته، حتى لو لم ترتبط بنص مقدس.

ونالت اللغة قداسة أخرى من خلال ارتباطها بالنص المقدس، بغض النظر عن أصلها، فكل لغة نزل بها وحي من السماء، اكتسبت تلقائيا قدسية ذلك الوحي، كما أن هنالك صلة لا تقل جوهرية بين اللغة والدين، تتمثل في الربط بين اللغة وبين أداء شعائر الدين[20]، فحتى الأديان الوضعية التي يطغى عليها طابع التعاليم الأخلاقية ولا تهتم كثيرا بالغيبيات (ديانات الشرق القديم)، والأديان التي يغلب عليها الطابع الأسطوري، ولا تعطي الآلهة منزلة رفيعة، وتجعلهم أقرب إلى البشر في صفاتهم (كاليونان) إضافة إلى الأديان السماوية (اليهودية–المسيحية–الإسلام) كلها ترى أن لغاتها التي كتبت بها نصوصها المقدسة، هي لغات مقدســـــة، ولابد أن تكون اللغة الرســـمية لأهل الجنة، ويتفقون في ذلك مع من يرون أن اللغة مقدسة لأنها لغة الله.

أما المستوى الآخر من القداسة، فهو ينظر إلى اللغة بوصفها هبة الله للجنس البشري، فالإنسان كائن قاصر على أن يبتكر هكذا أداة تواصل، التي تحتاج إضافة للقدرات العقلية الفذة، إلى مدة زمنية طويلة، وأن المؤشرات تفيد بأن الإنســـان اكتســـب اللغة بعد فترة وجيزة من وجوده في هذا الكون. (الإشكاليات المنطقية بكيفية التوافق البشري)[21]، ففي الإسلام علم الله آدم الأسماء كلها[22]، أما نصوص التوراة فتحدثت عن دعوة آدم لكل حيوانات البرية بأسمائها[23].

فاللغة مقدسة لأنها لغة الله، أو لأن الله منحها للإنسان، أو لأنه الله شرفها بجعلها لغة النص المقدس ولغة أهل الجنة، أي أن اللغة قد تكون مقدسة سواء وفقا للنظرية التوفيقية أو حتى التوافقية، لكون التوافق جاء بإلهام من الله، وهذه النظريات تعرضت لانتقادات عدة، فهذا التفضيل لا معنى له لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل أو اختصـــاص ولا عمل للغة؛ ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة. [24] أما ارتباط اللغة بالنص المقدس، فذلك لأن الله أرسل كل رسول بلغة قومه، وحتى تعلم آدم للأسماء، لم يكن الأمر من باب تعلم اللغة لكي يؤدي بها الوظائف التواصلية المتعارف عليها للغة، بل علمه الأسماء من باب التفضيل على الملائكة، والأهم من كل ذلك أن العلاقة بين اللغة والمقدس تثير الكثير من الأسئلة، لعل أهمها هو تحديد أيهما التابع وأيهما المتبوع؟ فلكل منهما مميزاته التي تجعل منها متبوعا، ونقائصـــه التي تجعل منه تابعا، بمعنى آخر، هل اللغة وقواعدها تُستمدُّ من النص الديني؟ أم أن النص الديني ينزل متفقا بمعناه وقواعده مع ما تفرضه تلك اللغة؟ فمن جهة، اللغة أسبق زمنيا من النص الديني، لكون النص ينزل بلسان قوم النبي، أما النص الديني فهو مقدس، وهو كلام الله الذي يجب أن يتوافق معه كلام البشر، وليس العكس، ولا يســـع المجال للإجابة على كل هذه الأســـئلة، بقدر ما يمكن فتح المجال أمام خطوط عريضة للإشكاليات التي تثار في سياقها.

ثالثا ـ اللغة والفلسفة

ليست الفلسفة استثناء، من حيث اهتمامها بالظاهرة اللغوية، بل يمكن القول إن الفلسفة هي أكثر الفروع المعرفية التي أولت اهتماما بالغا باللغة، فقد اتخذ العديد من الفلاسفة اللغة كحد لتمييز الإنسان، فنجد أن سقراط، يقول في جملته الشهيرة "تكلم حتى أراك" في دلالة على أن وجود الإنسان الفعلي لا يتحقق إلا عندما يعبر الإنسان عن نفسه وأفكاره، وأن ذلك لا يتأتى إلا باللغة، كما أن أرسطو ميّز بها الإنسان عن بقية المخلوقات، وفقا للقضية القائلة إن "الإنسان حيوان ناطق".

ولأن اللغة تبدو مصدرا لكثير من المشاكل، أصبحت وثيقة الصلة بالفلسفة، التي كانت من أهم سمات القرن العشرين، كما أن الفلاسفة لم يكتشفوا اللغة فجأة في هذا القرن، فثمة كثير من الحديث عن اللغة، عند (أفلاطون) في (النيوتتوس)، كما نجده عند (لوك)، الذي وضع كتابا كاملا عنها، وثمة نظرية في اللغة عند (هيوم)، لذا فإن الاكتشاف ليس معاصرا، وهناك تطورات أكثر حداثة، قادتْ مباشرة إلى جعل اللغة قُطب الرحى في الفلسفة، وفلسفة اللغة المعاصرة بدأت حقيقة بأعمال الفيلسوف والرياضي الألماني (جوتلوب فريجة)، في نهاية القرن التاسع عشر، و(رسل) في مطلع القرن العشرين[25]، وعمق الصلة بين الفلسفة واللغة؛ دفعت بعضهم إلى توجيه نقده للفلسفات المعاصرة التي لم تهتم باللغة، كالفلسفة الوجودية مثلا[26]، فالارتباط بين اللغة كإشكالية وبين الفلسفة قديم جدا، إلى درجة يمكن العودة بجذور هذه العلاقة إلى المحاورات الأفلاطونية، إلا أنها لم تصبح فرعا فلسفيا إلا حديثا، وحتى الانتقادات الموجهة للوجودية، كانت لكونها لم تجعل اللغة موضوعا أساسيا في أفكارها، وليس لأنها غضت الطرف عن اللغة بشكل نهائي، لأن (هيدجر) له دراسات حول اللغة والكلمة.

والفائدة المرجوة من معالجة اللغة من زاوية فلسفية، هي تمكُّن الإنسان من إحداث مقاربة متفردة لفهم واقعه، لأن علاقة الإنسان بوجوده لغوية، كما أن اللغة هي مدخل الوعي، والوجود برمته هو عالم تملؤه كائنات مفاهيمية ... إن الفلسفة أساسا تحليل مفاهيمي، وعلى هذه الشاكلة، تفضي نظرية في فلسفة اللغة، إلى نظرية شاملة للفلسفة[27]، ومن هنا ذهبت بعض التيارات الفلسفية إلى اعتبار أن الفلسفة برمتها ما هي إلا تحليل لقضايا اللغة، أي أن الفلسفة تكاد تنحصر في فلسفة اللغة، لا سيما عند (فريجة) و(فتجنشين) والفكر الوضعي عموما، إذ أن مهمة الفلسفة، تكون بتخليص الفكر من تلك الأوهام التي تسببها اللغة، أو بمعنى أدق الاستعمال غير الصحيح للغة.

1- القضايا الأساسية لفلسفة اللغة

يعد السؤال عن أصل اللغة من أهم المشكلات المركزية التي تم تناولها فلسفيا خلال القرن الـ(18) بل وحتى القرن الـ(20)[28]، وإن كان هناك من يرى أن الإشكالية لا معنى لها من الأساس، فمن جهة لا يمكن الإجابة عن سؤال أصل اللغة لا تاريخيا ولا منطقيا، ولن تعود علينا الإجابة بشيء[29] إلا أنه وفي كل الأحوال، ومع افتراض أن الإجابة على أسئلة أصل اللغة غير ممكنة، فإشكالية نشأة اللغة وتطورها،

ليست إشكالية ثانوية، بحيث يمكن تجاوزها جدلا، ولقد كان هناك خلاف واسع جدا، بين العلماء حول إشكالية نشأة اللغة، ويرجع ذلك بصفة عامة، لاختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها لطبيعة اللغة نفسها، حيث تدور النظريات في مجملها حول افتراضين، إما أن تكون اللغة منحة ربانية، أو أنها اتفاق بشري.

وهناك من يرى أن الصلة الحقيقية بين اللغة والفلسفة، والتي تجعل اللغة ذات أهمية فلسفية، هي تلك الإشكاليات التي تتعلق بنظرية المعرفة والميتافيزيقا، وهي بطبيعة الحالة إشكاليات لها انعكاسات على طبيعة اللغة، وهذه الإشكاليات المتعلقة بطبيعة اللغة هي التي تجعل منها رافدا مهما من روافد الاختلافات والجدليات الفلسفية[30] وتصنف تلك الإشكاليات في إطار فلسفة اللغة التي من أبرزها علاقة اللغة بالفكر، وهل اللغة مجرد وسط شفاف ينقل لنا نتاجات الإنسان المختلفة، من دون أن يكون له أي تأثير عليها، أو يكون لتلك النتاجات تأثير على اللغة، وأيهما أسبق على الأخر (الفكر أم اللغة؟) وبرزت ثلاث نظريات أساسية، فترى الأولى والتي يتبناها (واطسون) أن هناك انصهارا بين اللغة والفكر، بينما ترى الثانية التي أخذ بها (جون ديوي) أن هناك استقلالا نسبيا بينهما، وترى الثالثة أن هناك انفصالا تاما بينهما، بل قد تكون اللغة عائقا أمام الفكر كما هو الحال عند (برجسون).

كما عالجت فلسفة اللغة العلاقة التي تربط اللغة بالعالم، ولعل أبرز من يمكن ذكرهم في هذا السياق هو (فجتنشتين)، الذي يرى أن وظيفة اللغة الأساسية هي وصف العالم الخارجي، والذي يرى أيضا أن هناك تطابقا بين اللغة والعالم أو الواقع الخارجي، فكما تنحل اللغة إلى قضايا، ينحل العالم إلى وقائع، ولهذا السبب نجد أن (فجتنشتين) بدأ تحليله للغة بتحليل العالم نفسه[31]، ولذلك نجد أن كلمة العالم هي أول المصطلحات استخداما في رسالته، وكأنه كان يقصد من وراء ذلك، أن يقول إن فهم منطق اللغة لا يمكنه أن يتم بمعزل عن فهم منطق العالم، فالعالم على النحو الذي تصور (فجتنشتين) يعد شرطا أساسيا، في سبيل أن تحقق اللغة ماهيتها[32].

وعلى الرغم من هذه الصلة الوثيقة بين الفلسفة واللغة، وأهمية القضايا التي تتناولها فلسفة اللغة؛ إلا أن هناك تجاهلا كبيرا في الأوساط الفلسفية العربية لهذا الفرع الفلسفي، الذي على الرغم من تأثره، بالتيارات الفلسفية الغربية، إلا أن التفلسف حول اللغة، والتيارات والمدارس الفلسفية التي تُعنى باللغة، نادرا ما كان له التأثير البارز على المفكرين العرب، وفي أحيان أخرى، كانت محل نقد واستهجان، كما حدث مع موقف المفكرين والعامة من تبني (زكي نجيب محمود) للفلسفة الوضعية المنطقية، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب اللغوية، إلا أننا في المقابل نجد قبولا واسعا للبنيوية، كما في كتابات جابر عصفور، وصلاح فضل وكمال أبو ديب، ولا يسع المجال للحديث عن القبول العربي للبنيوية دون غيرها من الفلسفات اللغوية الغربية[33] وهذا ما يفتح الطريق أمام سؤال مشروع، عن أسباب النفور العربي من التفلسف حول اللغة، وعن القبول المنقطع النظير للتيار البنيوي في الأوساط الثقافية العربية، وهذا ما يتطلب عرضا لأسس موقف الفلسفة البنيوي من بعض قضايا اللغة.

رابعا ـ البنيوية وقدسية اللغة

انطلقت البنيوية بشكل أساسي من النموذج اللساني الذي وضعه دي سوسير، في كتابه (محاضرات في علم اللغة العام) وطبق في مجالات أخرى مثل الثقافة والانثربولوجيا وعلم النفس[34]، ولذلك تلعب اللغة دورا مركزيا في فكر بارت وفوكو ودريدا ولاكان، دورا لا يقل في أهميته عن الدور الذي تلعبه في أنثربولوجيا ليفي شــتراوس، حتى ليمكن القول أنهم جميعا مهووسـون بها[35]، ومفهوم اللغة واسـع إلى حد كبير جدا، كما هو عند شتروس، إذ اعتبر أن كافة أشكال التواصل الاجتماعي، وكافة البنى الاجتماعية، هي في الحقيقة مرادفة للغة، وذلك لأنه يرى أن التفكير الرمزي، وهو وجه التشــــابه بين اللغة والثقافة الاجتماعية، هو الذي يجعل الحياة الاجتماعية ممكنة، وهو نابع من البنى اللاشعورية للنفس الإنسانية[36]، واعتبر (لاكان) أن الإنسان يتكلم، ولكن هذا يتحقق لأن الرمز جعله إنسانا، فالطفل يدخل إلى عالم اللغة، لأنه تعرف على ذاته، وبالتالي تصبح اللغة والعوامل الثقافية جوهرية جدا.

1- نشأة اللغة (هبة الله للبشر)

من أبرز النقاط التي التقت فيها الفلسـفة البنيوية مع الرؤية الدينية لقدسـية اللغة، هي تصـورهما لنشـأة اللغـة، وهي قضـــية ذات أهميـة كبرى لـدى البنيويين؛ فظهور اللغـة المنطوقـة لـه أهميـة كبرى لـدى الأنثربولوجيا البنيوية، وهو المشـكل الأسـاسـي المعنية به، وهو ما أكد عليه (شـتراوس) إذ اعتبر أننا حين نتمكن من إيجاد حل لمشـــكلة أصـــل اللغة، فإننا حينها ســـنفهم كيف يمكن إدماج الثقافة في الطبيعة، فالبحث عن أصل اللغة هو بحث عن مفتاح لفهم الثقافة وكيفية نشأتها[37]، والفصل بين الثقافة والطبيعة، يعني بشـكل آخر الفصـل بين ما هو فطري يرجع لطبيعة الإنسـان، وبين ما هو ثقافي جاء عن طريق التعارف والاتفاق وسط التجمعات البشرية، وهاتان النقطتان تشكلان _كما أسلفت_ صلب الاختلاف بين نظريات أصل اللغة.

ويعد (شـتروس) من أهم الفلاسـفة البنيويين الذين تبنوا مبدأ فطرية اللغة، الذي يفضـي بطبيعة الحال إلى كونها من مصـــدر إلهي، وإن كان لم يصـــرح بذلك، وحاول أن يرجع الأمر إلى العقل، إلا أن تأكيده على النسق الميتافيزيقي القبلي، يجعل نظريته أقرب إلى النظريات الدينية، وقد صـاغ نظريته من خلال ما سبقت الإشارة إليه، من محاولة الفصل بين الطبيعة والثقافة، فعلى الرغم من أن شتراوس يعترف بصعوبة هذا الفصـل بين الطبيعة والثقافة، إلا أنه يرى بإمكانية تجاوز هذا السـؤال، من خلال الاتفاق على معايير عامة، هي أقرب إلى المعايير النظرية التي تســـمح بتصـــنيف اللغة، هل هي أقرب إلى الطبيعة أم إلى الثقافة؛ ومن تلك المعايير، أن كل ما يتصـــف بالكلية والضـــرورة، يعد من فئة الطبيعة، أما كل ما هو مؤقت وجزئي ومحدود، يعتبر من فئة الثقافة[38]، وتعد اللغة من الأشـــياء الكلية والضـــرورية والأشـــياء التوافقية في ذات الوقت، بمعنى آخر هي توافقية، ولكنها توافقية بمساعدة إلهية.

أما (ميشيل فوكو) فيشير صراحة إلى أن اللغة هبة من الله، إذ يقول: "كانت اللغة في شكلها الأول، حين وهبها الله نفسه للناس، شارة أكيدة وشفافة بشكل مطلق للأشياء لأنها تشبههم، فالأسماء وضعت على ما كانت تشير إليه ... إن هذه الشفافية قد حطمت في بابل عقابا للبشر[39]، واللغات لم ينفصل بعضها عن بعض، ولم تصبح غير متلائمة مع بعضها إلا بقدر ما أزيل أولا هذا التشابه بالأشياء، الذي كان السبب الأول في وجود اللغة، كل اللغات التي نعرفها لا نتكلمها الآن، إلا على أساس من هذا التشابه الضائع، وفي المدى الذي تركه خاليا"[40]، ويعتمد فوكو في نظريته بشكل صريح، على نصوص العهد القديم، وما ترويه عن قصة تحدث البشر بلغة واحدة، ثم نزول الله لمعاقبتهم على أفعالهم، فحرمهم نعمة التفاهم، ففرق ألسنتهم، لكي لا يفهم بعضهم بعضا، ومن هنا جاء تعدد اللغات.

كما يتبنى فوكو فيما يتعلق بلغة الإنسان الأول، النظرية الدينية القائلة بأنها اللغة العبرية أو التي كتب بها العهد القديم، إذ يقول: "وليس هناك سوى لغة واحدة احتفظت بذكراه، لأنها مشتقة مباشرة من هذا المعجم الأول المنسي، لأن الله لم يرد أن يفوت عقاب بابل ذكريات البشر، لأن هذه اللغة قد استخدمت لرواية العهد القديم لله مع شعبه، ولأن الله أخيرا قد خاطب بهذه اللغة من كانوا يصغون إليه؛ فاللغة العبرية تحمل إذا شأن الأنقاض، علامات التسمية الأولى، وهذه الكلمات التي لفظها آدم فارضا إياها على الحيوانات، فاللغات الأخرى فقدت هذه التشابهات الجذرية، والتي احتفظت بها اللغة العبرية وحدها، لتبين أنها كانت قديما اللغة المشتركة لله ولآدم ولحيوانات الأرض الأولى"[41]، فهو يميز هنا بين لغة أصلية هي العبرية، ولغات أخرى أشبه باللعنات الإلهية، التي ليس لها أي جذور مشتركة، كما أنه يرى أن العقاب الإلهي لم يشأ أن يحرم الإنسانية من ذكرياتها، فاحتفظ باللغة الأولى التي حفظت بها تلك الذكريات.

2- اللغة بوصفها وسيلة للتواصل (التوافقية ونشأة اللغة)

من أهم الزوايا التي نُظِر إلى اللغة من خلالها، هي زاوية الوظيفة التي تؤديها؛ لأن تلك الوظيفة ستؤثر بطبيعة الحال على نشأة اللغة وشكلها وتطورها، ولهذا ذهب البعض إلى القول، بأن اللغة تأثرت بشكل أساسي، بالأهداف التي أنيطت بها، والوظائف التي أسندت إليها، لأن شكل اللغة وتطورها، لابد أن يتبع الوظيفة التي أوكلت إليها[42] فالشكل الذي تبنى على أساسه اللغة سيكون نابعا من الوظيفة التي ستؤديها، باختصار، يمكن القول إن وظيفة اللغة يمكن من خلالها تحديد طبيعة نشأة اللغة وتطورها، فإذا عرفت الأسباب التي لأجلها وجدت اللغة، يمكن من خلالها استنباط طبيعة تطور اللغة وفقا لتلك الوظيفة. واللغة من الناحية الخارجية هي مجرد أداة تواصلية، لا يمكن تخيلها من دون وجود مجتمع، ولا وجودَ للغة إلا كوسيلة تواصلية[43]، وفي عصرنا الراهن نعيش عصر الكلمة سواء كانت منطوقة أم مكتوبة، فنحن نستخدم اللغة في كل أوجه حياتنا، نستخدمها في الشعائر الدينية كما نستخدمها في المناسبات الاجتماعية، نستخدمها في الصلوات وفي الأشعار كما نستخدمها بشكل المكتوب في تدوين كل شيء

ونقله إلى غيرنا في زمان ومكان آخرين[44]، أي أن التواصل يأخذ أشكالا كثيرة، ابتداء من التواصل ذي الصبغة المقدسة، مرورا بتواصل الإنسان مع محيطه وأقرانه.

فاللغة تتطلب وجود مجتمع، فلا يمكن للنظام اللغوي أن يوجد بدون جماعة تستخدمه، لكون اللغة ليست هدفا لذاتها، بل هي وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة[45]، فبواسطة اللغة يتم التواصل بين الأفراد والجماعات، وبها يستطع البشر التفاهم وتبادل المعارف والأحاديث والأوامر والحكم وكل ما يتطلبه التواصل البشري، كما تدخل اللغة في التواصل التاريخي، الذي عادة ما يكون بشكل مكتوب _إضافة إلى التراث الشفهي_ فمن خلال اللغة، تم تواصل الشعوب والحضارات، من شعب لأخر، ومن عصر لآخر، وأكثر أنواع التواصل حساسية، هو التواصل الديني المقدس، حيث تكون اللغة هي الوسيلة التي يخاطب بها الله الأنبياء، كما تصاغ أوامره ونواهيه في رسائل مكتوبة، والتي تشكلها النصوص المقدسة، فاللغة المنطوقة أو المكتوبة، هي التي تنتقل من خلالها الرسائل الإلهية إلى البشر، في المقابل لا سبيل إلا باللغة ليناجي الإنسان ربه، ويخبره بما يتمنى وما يخشى، فاللغة هي وسيلة الإنسان ليطلب الخير ويدفع الشر.

وقد تبنت البنيوية هذا التصور، وإن لم يكن بشكل صريح، إذ أيدت الوظيفة التواصلية للغة، وبناء على تلك الوظيفة، حددت طبيعتها اللغة وشكلها، معتبرة أن الوظيفة التواصلية، جعلت اللغة تأخذ شكلها التوافقي، إلا أن هذا التوافق لا يصدر عن وعي الإنسان وإرادته، بل هو توافق نابع من تصور ميتافيزيقي فوق مستوى البشر، فإذا كان كل فرد ينتمي إلى وحدة لسانية مستخدما عددا من الأنماط الصوتية المتماثلة لجميع الذوات، مما يعني أننا أمام ظاهرة تؤكد فكرة الغائية اللاشعورية، التي تتعدى الفرد بوصفها وسيلة تفاهم لا يضارعها أي مشروع بشري[46]، فوظيفة اللغة التي بناء عليها تشكلت طبيعتها، تنفي أي دور إنساني أو فردي، بل إن هذا الشكل التوافقي، هو تعبير عن سيطرة تصور ميتافيزيقي سابق على وجود الفرد و اللغة معا، فالأفراد لا يتوافقون خلال التواصل على معاني الكلمات، بناء على إرادتهم، بل هم مرغمون على ذلك بدافع من قوى ميتافيزيقية تقودهم إلى غاية لا شعورية.

أما مصطلح الغائية اللاشعورية فهو في الفلسفة يعني أن أشياء الطبيعة ترنو في مسيرة وجودها إلى تحقيق غرض أو غاية تجهلها الكائنات ويعلمها الله، وهذا الفرض ليس في نهاية المطاف سوى اعتراف بخالق الكون ومبدعه؛ وكان الأحرى بهم أن يقولوا إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلق فيه القدرة التي تمكنه من التواصل عن طريق اللغة[47]، وحتى إن لم يستخدم البنيويون ألفاظا دينية بشكل صريح، إلا أنهم يشيرون بشكل أو بآخر، إلى أن الله هو من غرس هذا التوافق داخل فطرة البشر؛ ليتيح لهم التواصل فيما بينه والتواصل مع الله، وهذا التصور للطبيعة التواصلية للّغة ذات الطابع المقدس، هو ذاته التصور الديني لنشأة اللغة.

وترى البنيوية من جهة أخرى، أن التحليل العميق للتواصـــــل عن طريق اللغة، إنما يبين كيف أن اللغة إلى جانب القيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية، تكون تعبيرا عن واقع روحي، يشـــمل جميع الأفراد ويعني بالنسبة لهم مصدرا وسببا لوحدتهم، وهنا يتضح أن الفونولوجيا تكشف عن ميتافيزيقا للتفاهم البشري هي سند لعلوم الأخلاق، فعثرت البنيوية بمناهجها الجديدة على ما يمكن أن يردِ إلى القيم الأخلاقية، حيث كشـفت عن طريق اللغة أنها تعبر عن واقع روحي يشــترك فيه جميع البشــر، مما يبرر التقائهم حول قيم أخلاقية ثابتة، فالإنسان كائن أخلاقي بطبيعته[48].

وبهذا نجد أن البنيوية، تعطي للغة وظائف كثيرة، أو بالأحرى تكشف عن أسرار كامنة تقف خلف هذا التواصـل اللغوي، فهي تعتبره نوعا من التواصـل المبني على نسـق لا شـعوري ميتافيزيقي، أي نسـق ديني صـادر عن قوى غيبية، وإن لم تقل البنيوية ذلك صـراحة، لأن البنيوية ترى باسـتحالة أن يكون هذا التوافق شيئا بشريا، كما أن البنيوية ترى طبيعة روحية لهذا التواصل اللغوي، يعبر عن خلفية أخلاقية، فالرغبة في التواصل بين البشر، تفترض أنهم يملكون رؤية أخلاقية تدفعهم إلى ضرورة العيش المشترك.

3- التزامنية Synchronic والتعاقبية Diachronic

لعل أهم الأســـئلة التي طرحت على مر تاريخ الدراســـات اللغوية، هو الســـؤال الذي طرح عن كيفية التطور اللغوي، فهل يجب أن ينظر إلى اللغة على أنها وســـيلة لا تتأثر بالتعاقب الزمني؟ أم هي أشـــبه بـالإرث التراكمي الذي يتطور عبر المراحل التـاريخيـة المتعـاقبـة؟ بمعنى آخر، هل يجـب أن نـأخـذ بعين الاعتبار، التطور التراكمي والبعد التاريخي للغة؟ أم يمكن تجاهله والتركيز مباشـــرة على اللغة في حقبة زمنية محدده، بوصفها ظاهرة متكاملة.

ولقد أشـار (دي سوسير) لهذين البعدين، لدراسـة اللغة، الأول هو التزامنية التي تعالج اللغات بوصـفها أنظمة اتصـــال تامة في ذاتها في أي زمن، والبعد الثاني هو الدراســـة التعاقبية التاريخية التي تعالج فيها تاريخيا عوامل التغيير التي تخضـع لها اللغات في مسيرة الزمن، ولكل من البعد التزامني الوصـفي، والبعد التعاقبي التاريخي مناهجه الخاصة و أساسياته[49].

الجدير بالذكر أن الدراســـات اللغوية، كانت مشـــغولة دائما بالدراســـات التاريخية، ولم تشـــغل نفســـها بالبحث في بنية اللغة نفسها بوصـفها ظاهرة معزولة عما حولها، والدراسـة التعاقبية أو التاريخية للغة، تقوم أساسا على البحث في تطور اللغة الواحدة عبر القرون، وإن كان الباحثون يرفضون كلمة التطور، باعتبار أنها تحمل دلالة الارتقاء، أي الانتقال من الحال إلى الأفضل منه، وهذا الحكم يتعذر في مجال اللغة، فلا يمكن القول بوجود صيغة أفضل من صيغة، ولذلك يرى الباحثون المعاصرون أن ما يحدث للغة هو تغير دون أن يكون تطورا بالضــرورة، فاللهجات تعد تغيرا لغويا وليســت تطورا لغويا... ويشـار في هذا السـياق إلى الدراسات اللغوية المقارنة، التي تتبع العلاقات بين اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة، إذ أنها بذلك تكون ذات صبغة تاريخية[50].

إلا أن البنيوية وجهت انتقادات كثيرة للدراســات التاريخية التعاقبية والدراســات المقارنة، معتبرة أنها تتنافى مع طبيعة اللغة، كما أنها لا تقدم جديدا لعلم اللغة، وينادي (سوسير) بأهمية النظر إلى اللغة على أنها نسـق system، وذلك على اعتبار أن المجتمع هو مجموعة من الأنسـاق التي يتألف كل منها من عدد من النظم و الظواهر المتكاملة و المتساندة وظيفيا، وأنه لكي نفهم سلوك الفرد أو تجربته، فإنه يتعين علينا دراستها بالإشـارة إلى كل الأنسـاق والنظم والمعايير السـائدة في ذلك المجتمع(51)، فالبنيوية ترى أن اللغة نسـق مغلق، وهي في علاقة مع بقية أنسـاق المجتمع، ولا يمكن فهمها إلا من خلال تلك الأنسـاق، ولذلك لابد من دراسة اللغة بشكل تزامني، بحيث تدرس في سياق بقية الأنساق خلال مرحلة زمنية محددة.

ومن أهم الأسـباب التي دعت البنيويين إلى تبني الدراسـات التزامنية، هي العلاقة بين الدال والمدلول، فالعلاقة الاعتباطية بين الدال Signifier والمدلول Signified، هي التي دفعت دي ســوســير ومن بعده المدارس البنيوية، إلى التأكيد على أهمية الدراســـة التزامنية، ويمكن الحديث عن أمثلة كثيرة، تغيرت فيها معاني الألفاظ عبر مراحل زمنية مختلفة، كما أكد دي ســوســير على أن تاريخ الكلمة لا يفيدنا في معرفة معنى الكلمة العادي، بل غالبا ما يكون بعيدا عن معناها(52).

بمعنى آخر، لقد رأت المدرسـة البنيوية، أن الدراسـات التاريخية، التي تدرس تطور المعنى، تتبع سرابا لا يمكن الوصول إليه، فهي تحاول تتبع تطور المعنى، الذي يقوم أساسا على العلاقة بين الدال والمدلول، وهذه العلاقة في أساسها علاقة اعتباطية، أي أن تحولها وتطورها لا يسير وفقا لقوانين ثابتة، بحيث يسمح تتبعها بالوصـول إلى القوانين المتحكمة في هذا التغير والتطور، والمعنى وفقا لهذه الرؤية يكون محصـورا في النســـق الرمزي الذي ينتمي إليه، وهو نســـق ينتمي إلى حقبة زمنية محددة، تعد وليدة لمجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية و الدينية، وهي التي تتحكم في تلك المنظومة، وهي التي من خلال معرفتها تسمح بمعرفة المعنى الرمزي.

الجدير بالذكر في هذا السـياق، أن الدراسـة التعاقبية، تفترض البحث عن الأصـل، كما قد يقود ذلك إلى المقارنة بين لغة وأخرى، في حال تبين أن هناك ما هو مشـــترك بينهما، بينما التزامنية لا تقوم على مثل هذه المقارنات، لكونها تنظر إلى اللغة على أنها نســـق مغلق، ولهذا نجد أن التيارات والمدارس التي ترى أن اللغة مقدسـة ولا يجوز مقارنتها ولها وظائف سـامية، تعتمد على الدراسـة التزامنية، أي أخذ اللغة خلال حقبة تاريخية محددة وتعميمها على كافة الحقب التاريخية، بينما تميل المدارس النقدية إلى دراســـة اللغة من خلال الدراسـات المقارنة، فيجعلها عرضـة للتقييم جنبا إلى جنب مع لغات أخرى، مما ينتج عنه غالبا الكشف عن استعارات وحركة انتقال متبادل للألفاظ.

كما أن التزامني، أو النسـق غير التاريخي، يمثل التنكر للتفسـير من حيث هو ممارسـة اجتماعية، لا يمكن تصـورها في إطار التزامن الجامد المغلق المنطوي على نفســه(53)، ويمكن أن نقول هنا إن البنيوية بانحيازها إلى الدراسة التزامنية للغة، وهجومها على الدراسات التاريخية، هي تنكر الدور الإنساني في نشأة

اللغة وتطورها، ونفي أن تكون اللغة نتاج التفاعل الإنساني التراكمي، وهي في المقابل ترسخ فكرة (فطرية اللغة) التي ترتبط بدورها بوجود أفكار فطرية في العقل الإنسان، وهذا التوجه، يقود في نهاية المطاف إلى تأكيد الدور الغيبي والإلهي والمقدس.

4- اللغة langue للمجتمع، الكلام parole للفرد

تعد إشكالية اللغة والكلام بمثابة تفرع ثانوي من إشكالية التزامنية والتعاقبية، فبعد أن رجحت المدارس البنيوية، أفضلية الدراسة التزامنية للغة على الدراسة التعاقبية، كان لزاما عليها، أن تحسم جدلا آخر، يتعلق بمرجعية المجتمع والفرد، فحتى لو أخذنا بالمنهج التزامني، فلابد من تحديد أيهما يؤسس على الآخر من الناحية اللغوية؟ أو من تكون له الأسبقية المنطقية والزمنية؟ اللغة كمنظومة اجتماعية؟ أم الممارسات اللغوية الفردية؟ علما بأن طبيعة هذا السؤال، تنتمي إلى فئة الأسئلة، التي ترغمنا على الوقوع في الدور المنطقي، فكلما افترضت إجابة، تكتشف أن الإجابة الأخرى لا تقل وجاهة من الأولى.

ويرجع الفضل في هذا التمييز إلى العالم اللغوي (دي سوسير) فاللغة أشبه بنظام اجتماعي، بمعنى أنها مستقلة عن الفرد، بينما الكلام هو التطبيق العملي الذي يقوم به الفرد[54]، فاللغة هي النظام النظري أو مجموعة القواعد التي ينبغي على متكلمي تلك اللغة أن يلتزموا بها إذا أرادوا التواصل بينهم، أما الكلام فهو الاستخدام اليومي لذلك النظام من قبل المتكلمين، ويمكن فهم هذا التميز بالمقارنة مع التمييز الآخر المشابه له والذي وضعه تشومسكي، إذ ميز بين الكفاءة اللغوية competence والممارسة اللغوية performance، فالأول يعني نظرية اللغة التي نحملها في رؤوسنا، بينما يعني الثاني التطبيقات العملية التي نستمدها من النظرية[55].

والغرض من التمييز بين اللغة والكلام، هو الفصل بين النسق الذي يكمن وراء الفعل اللغوي وبين الفعل ذاته، وبالتالي الفصل بين المشكلات أو المسائل اللغوية البحتة وبين المسائل التي قد تتطلب وجود اعتبارات سيكولوجية أو فسيولوجية، وتعد اللغة الجوهر الأساسي له، بينما الكلام هو العرضي، ولا قيمة للجمل أو الكلام سوى أنها تساعد الباحث اللغوي على معرفة النسق الذي يكمن وراء هذه العبارات[56]، فاللغة هي مجموعة القواعد الثابتة التي توافق عليها المجتمع، بينما الكلام هو محاولات الأفراد تطبيق تلك القواعد، والجدير بالذكر أن هذا التمييز جاء أساسا، لتأكيد وجود معطى ثابت، يمكن دراسته متمثلا في اللغة، وذلك خلافا للكلام الذي لا يعول عليه، فاللغة والكلام لا يتعارضان بل هما متكاملان، فالأحداث الكلامية سبقت اللغة، وهي التي كونتها تدريجيا، كما أن اللغة _من منظور آخر_ تسبق الكلام الذي ينضبط وفقا لمصطلحها[57]، وإن كان من الناحية المنطقية، فاللغة تسبق الكلام، فإمكانية أن نعني شيئا بالألفاظ، هو أمر مرتبط ببنية اللغة نفسها، قبل حتى النطق بها، ولا شك أن البنى هي نتاج لعملية سابقة، ولكن مهما عدنا إلى الخلف، عندما نفكر بمولد اللغة، فلابد أن نفترض تنظيما مسبقا[58]، أي أن اللغة

تسبق الكلام، لكون الكلام يؤسس عليها، واللغة لا تسبق الفرد فقط، بل تسبق حتى الجماعة أيضا، وما الجماعة إلا مظهر لتجسدها.

فاللغة كما يراها أحد أقطاب البنيوية وهو (رولان بارت) هي مؤسسة مجتمعية ونظام من القيم في الوقت ذاته، وهو لا يخضع لأي نية مسبقة، فهو القسم المجتمعي من اللغة و ليس بمقدور الفرد وحده أن يخلقه أو أن يغيره، ولأنه نظام من القيم التعاقدية فهو يقاوم التعديلات التي يجريها الفرد الواحد، وهو بذلك مؤسسة مجتمعية[59]، وعلى الرغم من الارتباك الذي يكتنف التصور البنيوي للنسق اللغوي، وأسبقية اللغة على الكلام، وارتباط اللغة بالجماعة، إلا أنه يعد استمرارا لفكرة اللغة الفطرية، المترسخة خلف الوجود الإنساني، إذ تحرم الفرد من حق المشاركة في العملية اللغوية، وخضوعه لقوانين الجماعة، التي تمارس مهمة أقرب إلى تطبيق القانون، ولكنها ليست هي من تصدره، فاللغة بنية سابقة على الوعي الإنساني، أو بمعنى آخر شيء مقدس سواء كان من مصدر مقدس، أو يكتسب قدسيته لأسبقيته على الإنسان.

5- اللغويات الداخلية واللغويات الخارجية

تقودنا الإشكالية أوالتمييز السابق إلى تمييز بنيوي آخر، وهو التمييز بين اللغويات الداخلية واللغويات الخارجية، فاللغويات الداخلية تكون فيها اللغة نسق له قواعده الخاصة، وله تنظيم داخلي في حد ذاته، بينما تهتم اللغويات الخارجية بمظاهر اللغة من حيث علاقتها بالدوائر المؤثرة عليها كالحضارة والتاريخ وعلم النفس، ويشبه (دي سوسير) النظام الداخلي للغة أو اللغويات الداخلية، بقواعد اللعبة، أما تناقل اللعبة من جيل إلى جيل أو بلد إلى بلد فهو يناظر اللغويات الخارجية، ومن هنا يولي البنيويون الاهتمام الأكبر بالبنيويات الداخلية[60]، فالبنية الداخلية هي المعبر الأساسي عن اللغة، هي القواعد وفقا لتشبيه دي سوسير، بينما اللغويات الخارجية لا تعبر عن شيء، بل لا تؤثر حتى على البنية الداخلية للغة، التي تعد نسقا مغلقا.

وترتب على ذلك نتائج غاية في الخطورة، وهي قدسية النسق وأحادية المعني؛ فالبنيوية تلغي ثنائية النص سواء مع المؤلف أو القارئ، وتخضع كل شيء لجبرية صارمة تلغي بها فاعلية أي شيء خارج النص[61]، واللغة هي نسق لابد أن تمر من خلاله كل الرسائل التي يريد المتحدث أن يوصلها إلى الآخرين، وبالتالي فإن كل الرسائل التي تمر من خلاله ينبغي أن تتبع قوانين هذا النسق[62]، وعليه يعتبر النص في نظر البنيويين مجرد بنية وليس حدثا، وهذا الأمر ارتبط بموضوعية النص، مما يتيح بلوغ مضمونه، من دون الحاجة إلى الربط بينه وبين أي مرجعيات اعتباطية من خارجه، وموضوعية النص، ترتبط أيضا بضرورة وجود قصد أو معنى واحد للنص، ذلك المعنى الذي أودعه المؤلف في نصه، وعلى القارئ أن يصل إليه، والتصور القائم على النص المغلق والذي تمر الرسالة من خلاله من دون أي تأثير خارجي، مما يجعله نصا موضوعيا لا يحمل إلا معنى واحدا موضوعيا، هو ذاته التصور الديني للنصوص المقدسة.

الفكر العربي والبنيوية:

في الختام لا يملك المرء إلا أن يتعجب، حين يجد أن دي سوسير قد تبنى تلك الميتافيزيقا المتمركزة على العقل[63]، وأن البنيوية تنطلق من مسلمات تلغي الذات والوعي والإرادة وتمثل تحديا للفلسفة ذات النزعة الإنسانية، خاصة في مجال النسق اللغوي اللاشعوري، وهو ما انبثق عنه تصور جديد للغة، فأصبحت تبدو من خلاله نسقا مغلقا، مكتفيا بذاته، وسابقا على الذات المتكلمة[64]، ويبدو هذا من باب المفارقة التاريخية المدهشة حقا، أن يشهد الفكر الفلسفي الغربي، في أخر تطور له على يد البنيوية، قطيعة معرفية بين الإنسان والعالم؛ ذلك لأن هذا من العلاقات الثابتة الذي تمثله البنية سيقف بالضرورة في وجه أي تواصل بين الذات والعالم، وبالتالي فإن هذه القطيعة المعرفية، من شأنها أن تترك كل أفعال الإنسان ونشاطاته خاضعة للاشعور واللامعقولية[65]، فكيف للفكر الغربي، الذي تبنى الفردية والحرية، وأعلى من شأن العقلانية، ورفض الميتافيزيقا، أن يتبنى أنساقا جبرية، يتحكم فيها اللا شعور.

ولذلك فهناك جانبان مهمان سيتم التركيز عليهما في نهاية هذا البحث، الجانب الأول يتمثل في العلاقة التي تربط بين اللغة والمقدس، وأثرها على كل منهما، وخاصة اللغة العربية، والجانب الآخر هو شيوع فلسفة مثل البنيوية، التي لا تنسجم مع السياق الفلسفي الغربي، من حيث دعوتها إلى اللاشعور والأنساق المغلقة وإلغاء الذات، وكيف أن تلك النزعة الفلسفية، توافقت مع المزاج العربي دون غيرها، مما جعلها محط إعجاب منقطع النظير، وبدلا من أن تساهم في إرساء حركة نقدية للفكر العربي، ساهمت في ترسيخ موروثه الديني واللغوي، وما الفرق بين البنيوية العربية والبنيوية الغربية؟

إن الارتباط بين اللغة والمقدس، يحتم على اللغة التأثر بالموضوعات التي يتناولها المقدس، ولأن كافة أشكال النصوص المقدسة ذات طابع ميتافيزيقي، فستصبح اللغة ميتافيزيقية بالقدر الذي يكون به المقدس ميتافيزيقيا، وتنحصر اللغة في أداء هذا الدور المقدس، بالقدر الذي ينحصر به تفكير المتكلمين بتلك اللغة في موضوعات المقدس، فقوة الارتباط بالمقدس، تعوق ارتباط اللغة بالجوانب المعرفية الأخرى.

ومما لا جدال فيه، أن الاهتمام باللغة على مر التاريخ، كان مدفوعا بإلحاحات دينية وعقائدية _بما في ذلك اللغة العربية_ وأهم تلك الإلحاحات، هو فهم معنى النصوص الدينية، وبطبيعة الحال، تتولد الرغبة في فهم النصوص الدينية عندما تتعدد الأفهام والتأويلات، ويبدأ الخلاف حول أي تلك المعاني هو الأصح، ومن هنا يلجأ المختلفون إلى اللغة وقواعدها؛ لحسم هذا الخلاف، والجدير بالذكر أن الخلاف يرتكز على فرضية أسياسية، وهي ضرورة أن يكون هناك تأويل واحد فقط هو الصحيح، وذلك خلافا للأدب الذي يسمح بتعدد المعاني ومرونة اللغة فيما يتعلق بالبديع والمجاز، لذلك بدأ جمع قواعد اللغة تنقيحها، بعد أن بدأ الخلاف بين الناس حول تأويل النصوص المقدسة، إلا أن الأمر لم يكن بهذه البساطة، بحيث يمكن استنباط قواعد اللغة بسهولة ويسر، فجمع قواعد اللغة انطلق بعد تكون آراء فقهية مسبقة، بحيث إن بعض مدارس اللغة، كانت تضع القواعد لتتناسب مع آرائها الفقهية، ويعد هذا الأمر أحد أهم أسباب الاختلافات النحوية،

فعلى سبيل المثال هناك من يرى أن الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة لم يكن خلافا نحويا، بل كان خلافا فقهيا، وأبرز الإشكاليات التي ساهمت في وضع قواعد اللغة هي إشكالية الذات والصفات[66]، ولقد كان التأثير متبادلا، إذ تشكلت فرق فقهية وفقا لمنظور لغوي وتشكلت مدارس لغوية وفقا لموقف فقهي.

الجدير بالذكر في هذا السياق، أن التداخل بين اللغة والمقدس، والخلاف حول معاني وتأويل النصوص، أدى إلى أن يصبح تفسير النصوص الدينية وظيفة يحتكرها الفقهاء لأنفسهم، مما جعل فهم اللغة وحفظها أمرا لا يتقنه إلا من يملك حق تفسير تلك النصوص، وهذا الأمر كانت له انعكاسات سلبية على اللغة، إذ أنه إما يحيل اللغة إلى لغة تحتكرها فئة معينة (القساوسة– الفقهاء) وهي الفئة ذاتها التي تحتكر حق استخراج المعاني من تلك النصوص وفهمها بشكل صحيح دون غيرها من الناس، أو تحيل اللغة إلى مجموعة طلاسم يرددها المؤمنون خلال أداء طقوسهم الدينية من دون وعي بمعانيها، وكل هذا يؤدي بدوره إلى عزل اللغة و انحصارها إما لدى فئة صغيرة، أو لأداء وظيفة واحدة من وظائف اللغة.

هذا الموقف القائم على قدسية اللغة، والذي يعج به تراثنا، تطابق مع موقف البنيوية، مما جعلها أكثر شيوعا في الأوساط العربية، ولكن السؤال هو عن شيوع البنيوية في الأوساط الغربية، التي أقامت فلسفتها على رفض تعاليم الكنيسة وعلى الحرية والفردية.

يمكن فهم ذلك لو وضعنا البنيوية في سياقها التاريخي، من خلال فهم المدارس التي ناصبتها العداء سواء تلك التي أدت لظهورها الوجودية، أو التي أدت إلى اندثارها التفكيكية، فكما هو معروف بخصوص نشأة البنيوية، أنها كانت أساسا تمثل ردة فعل ضد الوجودية، تلك الفلسفة التي تطرفت في التعويل على حرية الفرد، وتأكيد الذاتية والحرية والإرادة، معتبرة أن الفرد هو محور الوجود، وهو الذي ينقل الرسائل ويملك المعنى، ومن هنا حاولت البنيوية التأكيد على طبيعة إنسانية، تقوم على فكرة الجماعة، وقوة النسق الخفية، والتأكيد على الغائية الحتمية للبشر، وحين تطرفت البنيوية في هذا المجال، لدرجة أعلنت موت الإنسان، ظهرت التفكيكية، التي حاولت الشك في كل ما جاءت به الوصفية البنيوية، معتبرة أنه لا رسالة ولا دلالة قبل تفكيك الخطاب أو النص، وهنا تجدر الإشارة إلى أن البنيوية الغربية لها سياقها التاريخي، فهي ردة فعل ضد ما قبلها وأرضية لمجيء ما بعدها، إلا أن البنيوية في الوطن العربي، هو منهج وافق الرأي السائد، فلا هو مبني على رؤية نقدية لفكر قبله، ولا يؤدي إلى رؤية نقدية تنبثق عنه أو تنتقده، فالبنيوية في الفكر العربي أقرب إلى العقيدة منها إلى الفلسفة، بينما في الفكر الغربي، كان دعاتها يرغبون في بلوغ الصلابة العلمية، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في منزلقات الميتافيزيقا.

الهوامش والمراجع:

(1) بنكر، ستيفن(2000)، الغريزة اللغوية (كيف يبدع العقل اللغة)، ترجمة حمزة المزيني، دار المريخ، الرياض، ص: 22.
(2) تشومسكي، نعوم (2009)، آفاق جديدة لدراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية، ص:63–65.
(3) بيرو، جون (2001) اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، ص: 128.

(4) شمس الدين، جلال،(1994) التعليل اللغوي عند الكوفيين مع مقارنته بنضيره عند البصريين، الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ص: 7.

(5) نيتشة، فريديريك (1996) أفول الأصنام، ترجمة حسان بورقية، محمد الناجي، إفريقيا الشرق، ص: 33.

(6) خليفي، بشير (2010) الفلسفة وقضايا اللغة، الاختلاف، الجزائر، ص: 33.

(7) هذه السمة تعد من أبرز سمات اللغة، حيث إن الرابط بين الاسم (طاولة) والمسمى (الشكل المصنوع من الخشب) اعتباطي، وإلا اتفقت جميع اللغات على الأسماء والمسميات، وهذا الرابط الاعتباطي (غير العلمي و المنطقي) لا يكون فاعلا إلا بالاتفاق عليه بين مجموعة من المتكلمين، فيتفق مجموعة من البشر على أن هذا الشكل اسمه (طاولة) ويكون الاتفاق دليلا اعتباطيا لا يمكن تبريره (لماذا أطلقنا على الطاولة اسم طاولة؟).

(8) بيرو، جون (2001) اللسانيات، مرجع سابق، ص: 127.

(9) RClAMMER, John , (1980) Religion and language in Singapore, Evangelos A. Afendras, Eddie C. Y. Kuo (Edit) , Language and Society in Singapore, NUS Press, p 87.

(10) بيرو، جون (2001) اللسانيات، مرجع سابق ص: 33.

(11) Downes, William , (2010) Language and Religion: A Journey into the Human Mind, Cambridge University Press, p 2.

(12) Edwards ,John, (2009) Language and Identity: An introduction, Cambridge University Press, p 100.

(13) Myhill, John, Language, (2006) Religion and National Identity in Europe and the Middle East, John Benjamins Publishing, p 178.

(14) النووي، أبو زكريا (د.ت)،المنهاج في شرح صحيح مسلم، ج (1) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص: 149.

(15) زيدان، محمود فهمي (1985)، في فلسفة اللغة، دار النهضة، بيروت ، ص: 150.

(16) وأما صلاتها باللغة الإنجليزية فلا تصح ما دامت قادرة على التعلم، وأما قبل التمكن من التعلم فإنه يصح أن تترجم أذكار الصلاة باللغة الإنجليزية، وأما قراءة الفاتحة فلا يصح بل تأتي بدلها بذكر مثلها باللغة العربية، فإن عجزت عنه بالعربية فلها أن تترجمه بلغتها، فإن عجزت عنه بلغتها فإنها تسكت قدر قراءة الفاتحة ثم تركع وتتم صلاتها فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها. (اللجنة الدائم للإفتاء بالسعودية / رقم الفتوى: 68258).

(17) الجزيري، عبد الرحمن(د.ت) ، الفقه على المذاهب الأربعة، ج (1)، دار الكتب العلمية، الإسكندرية، ص: 247.

(18) Düttman, Alexander García , (2000) Gift of Language, A&C Black, p 75.

(19) Olender ,Maurice (1992), The languages of Paradise: race, religion, and philology in the nineteenth century, tans by Arthur Glodbammer, Harvard University Press, p 1 .

(20) زيدان، محمود فهمي (1985)، مرجع سابق، ص: 150.

(21) Düttman, Alexander García , (2000) Gift of Language, p 75.

(22) {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (البقرة/31) هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم (تفسير ابن كثير).

(23)" وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. " آية (تك 2: 19) الإصحاح الثاني.

(24) ابن حزم (د.ت)، الإحكام في أصول الأحكام، (ج 1)، دار الآفاق، بيروت، الباب الرابع (في كيفية ظهور اللغات أعن التوقيف ؟ أم عن اصطلاح ؟).

(25) سيرل، جون (1998)، فلسفة اللغة، براين ماغي (تحرير)، رجال الفكر، ترجمة نجيب الحصادي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ص: 342- 344.

(26) جعفر، عبدالوهاب (2008)، الفلسفة واللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: 9.

(27) خليفي، بشير (2010) الفلسفة وقضايا اللغة، مرجع سابق، ص: 13.

(28) Trabant , Jürgen (2001) New perspectives on an old academic, Sean Ward, Jürgen Trabant (Edit) New Essays on the Origin of Language, Walter de Gruyter, p 1.

(29) muller , F.M. (1996) the origin of language, Roy Harri (Edit) Origin Of Language,A&C Black, p 8.

(30) Hacking , Ian (1975) Why Does Language Matter to Philosophy, Cambridge University Press, p 1.

(31) إسلام، عزمي (د.ت) لدفيج فجتنشتين، دار المعارف، القاهرة، ص: 81 ، 82.

(32) حمود، جمال (د.ت) فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنتشتاين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص: 122.

(33) حمودة، عبدالعزيزي (1998) المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، ص:13.

(34) جعفر، عبد الوهاب (2012) مبادئ الفلسفة وقضاياها المعاصرة، دار الوفاء، الإسكندرية، ص: 252- 253.

(35) ستروك، جون (1990) البنيوية وما بعدها، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، ص: 17.

(36) جعفر، عبدالوهاب (1980) الانثربولوجيا البنيوية وموقف سارتر منها، دار المعارف، الإسكندرية ، ص: 34.

(37) الداوي، عبدالرزاق (1992) موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ص: 84.

(38) المرجع السابق، ص: 85.

(39) لقد جاء في سفر التكوين الإصحاح 11 من 1 إلى 7 (و كانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة 2 وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك 3 وقال بعضهم لبعض: هلم نصنع لبنا ونشويه شيا. فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحمر مكان الطين 4 وقالوا: هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض 5 فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما.6 وقال الرب: هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه 7 هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض).

(40) فوكو، ميشيل (1990) الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي، يفوت، وآخرون، الإنماء الوطني، بيروت، ص: 53.

(41) المرجع السابق، ص: 53.

(42) كوبر، روبرت (2006) التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي، ترجمة خليفة أبوبكر، مجلس الثقافة، القاهرة، ص: 228.

(43) بيرو، جون (2001)، اللسانيات، مرجع سابق، ص:1.

(44) خرما، نايف (1990) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ، ص: 60.

(45) حجازي، محمود فهمي (1992) مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة، القاهرة ، ص: 12.

(46) جعفر، عبد الوهاب (2012) مبادئ الفلسفة وقضاياها المعاصرة، مرجع سابق، ص: 262.

(47) المرجع السابق، ص: 262.

(48) المرجع السابق، ص: 263.

(49) روبنز، ر.هـ. (1990) موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت ، ص: 288.

(50) حجازي، محمود فهمي (1992) مدخل إلى علم اللغة، مرجع سابق، ص: 24.

(51) أبوزيد، أحمد (1995) مدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة ، ص: 71.
(52) إبراهيم، زكريا (1976) مشكلة البنية، مكتبة مصر ، القاهرة، ص: 48.
(53) ناصف، مصطفى (1995) اللغة والتفسير والتواصل، المجلس الأعلى للثقافة، الكويت، ص: 187.
(54) إبراهيم، زكريا (1976) مشكلة البنية، مرجع سابق، ص: 44.
(55) ستروك، جون (1990) البنيوية وما بعدها، مرجع سابق، ص: 13.
(56) أبوزيد، أحمد (1995) مدخل إلى البنائية ، مرجع سابق، ص: 73.
(57) جعفر ، عبد الوهاب (2012) مبادئ الفلسفة وقضاياها المعاصرة ، مرجع سابق، ص: 254.
(58) ستروك، جون (1990) البنيوية وما بعدها، مرجع سابق، ص: 190.
(59) بارت، رولان (1987) مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار الحوار ، اللاذقية، ص: 34-35.
(60) رشوان، محمد مهران (1984) مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة ، ص: 138
(61) أبوزيد، نصر حامد (2005) إشكالية القراءة والتأويل، المركز الثقافي العربي، الرباط ، ص: 20.
(62) جعفر ، عبدالوهاب (1980) الانثربولوجيا البنيوية وموقف سارتر منها، مرجع سابق، ص: 33.
(63) جاكسون، ليونارد (2008) بؤس البنيوية، ترجمة ثائر لبيب، دار الفرقد، دمشق، ص: 287.
(64) الداوي، عبدالرزاق (1992) موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، مرجع سابق، ص: 11.
(65) هويدي، يحيى (1993) قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة، القاهرة، ص: 153.
(66) عليو ، محمد الشيخ (د.ت) مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، دار المناهج، الرياض.